

مجاز القرآن

(104) الجواب (بأنّ ربّك أوحى لها *) (1) . تحدث به الأرض نفسها تلقائياً ؛
فالإيحاء هنا مباشرة ، ليلائم إسناد التحدث الى الأرض . وسر قوته في أنه كذلك (2) . 3 -
ومساييرة المجاز للنفس الإنسانية لا تقف عند حد معين ، ولا تختص بأقوام دون آخرين ،
فالعبرة فيها بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومع هذا فقد نلتقط بعض الشذرات النادرة ،
والتحف الثمينة في هذه الظاهرة المتأصلة ، ومن ذلك ما أورده تعالى في سورة الضحى من
أقسام وإيمان كان للمجاز العقلي فيها نصيب متميز ، كما في قوله تعالى : (والضحى *
والليل إذا سجى *) (3) . وسيأتي إبراز المجاز الإسنادي الحكمي لهذه الآية في محلها من
فصل " المجاز العقلي في القرآن " والمهم هنا أن نبين أن القرآن العظيم كما توجه لإثارة
النفس عند الناس ، فكذلك توجه لتهدئة النفس الإنسانية عند ذي أقدم نفس بشرية ، وهو
الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبذلك يستوعب المجاز القرآني ، النفوس
الاعتيادية والنفوس المقدسة الشريفة ، وقد تنبّهت الدكتورة بنت الشاطيء لهذا الملحظ ونحن
نؤيدها فيه بحدود . " المقسم به في آيتي الضحى ، صورة مادية ، وواقع حسي ، يشهد به
الناس تألق الضوء في ضحوة النهار ، ثم يشهدون من بعده فتور الليل إذا سجا وسكن .
يشهدون الحاليين معا ، في اليوم الواحد ، دون أن يختل نظام الكون ، أو يكون في توارد
الحالين عليه مما يبعث على إنكار ، بل دون أن يخطر على بال أحد ، إن السماء قد تخلت عن
الأرض وأسلمتها الى الظلمة الموحشة ، بعد تألق الضوء في ضحى النهار " . فأى عجب في أن
يجيء ، بعد أنس الوحي وتجلي نوره على المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فترة سكون
يفتر فيها الوحي ، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يأتي بعد الضحى المتألق (4) .
_____ (1) الزلزلة : 5 . (2) ط : بنت الشاطيء ، التفسير البياني : 1/97 . (3)
الضحى : 1 - 2 . (4) بنت الشاطيء ، التفسير البياني : 1/26 .